

مظاهر التسامح والاعتدال

وأثرهما في تأسيس الخطاب الإنساني وتوجيهه

The manifestations of tolerance and moderation and their impact on the
CONSTRUCTION and ORIENTATION Of HUMANIST discourse

د. عبد الرحمن معاشي maachiabdou@gmail.com

جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة

تاريخ قبول البحث: 15-04-2018

تاريخ استلام البحث 18-01-2018

ملخص:

يتناول هذا الموضوع التسامح والاعتدال في المفهوم الإسلامي الواسع ودور ذلك في تأسيس الخطاب الإسلامي والإنساني وتوجيهه توجيهًا بنائياً صحيحاً، بعيداً عن كل أنواع الهدم والتشتيت والكراهية.

ترصد الورقة هذا الموضوع المهم من خلال بعض مواقف النبي صلى الله عليه وسلم في الحضر والسفر، وفي السلم والحرب، وتستضيء بتلك المواقف الخالدة وتجعل منها مادةً لتجاوز أزمة الخطاب المعاصر ولتأسيس الخطاب الدعوي وتوجيهه بما يتناغم وينسجم مع رسالة الإسلام العالمية.

الكلمات المفتاحية: التسامح- الاعتدال- الخطاب الديني- الخطاب الإنساني- معالم المنهج المطلوب.

Abstract

This topic deals with tolerance and moderation in the broad Islamic concept and its role in establishing the Islamic and humanitarian discourse and directing it constructively, away from all kinds of demolition, dispersion and hatred.

The paper present this important subject through some of the positions of the Prophet (puh), and illumines those immortal attitudes and makes them an article to overcome the crisis of contemporary discourse and to establish the islamic discourse and guide it in harmony with and consistent with the global message of Islam.

Key words: Tolerance - moderation - religious discourse - the humanitarian discourse - the parameters of the required curriculum

مقدمة:

يعني التسامح في المفهوم الإسلامي الواسع تسامح المسلم مع أخيه المسلم، وتسامح الأمة مع بعضها، تسامح المسلم مع غير المسلمين والتعامل معهم ومعايشتهم في ظل احترام أشخاصهم، ومقدساتهم، وقد جاءت الشريعة بذلك؛ فقد قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) [الحجرات: ١٣].

1- **أهمية الدراسة:** تستمد أهميتها من حاجة الخطاب الإنساني لقيم التسامح والاعتدال، تأسيسا وتوجيها؛ ذلك أن الخطاب -أيًا كان نوعه إذا سلبت عنه هذه القيم أصبح خطابا زائفا، أقرب ما يكون إلى العنف منه إلى الرفق، وأدعى إلى التمييز والهدم وأبعد عن البناء والتشييد. كما الناظر إلى نصوص الشريعة ومقاصدها العامة والخاصة، يدرك بما لا يدع مجالا للشك رحابة الشريعة، وأنها مزدانة بالقيم بالقدر الذي تذوب فيه كل الفوارق والمسافات، وتصنع من الخطاب خطابا يشع بقيم التسامح والعدل، لا يثير ولا يورث الأحقاد والكراهية في النفوس، خطابا جماعاً تجميعياً.

2- **مشكلة الدراسة:** هل يمكن للخطاب الإنساني عموماً أن يتأسس صحيحاً ويتوجه توجيهاً سليماً باستثمار عناصر التسامح والاعتدال؟

تتفرع عن هذه المشكلة عدة أسئلة، أهمها:

ما المقصود بقيم التسامح والاعتدال؟ وما هي مظاهر أزمة الخطاب المعاصر؟ وما هي الدروس المستثمرة في تشخيص الخطاب المتأزم وتوجيهه؟

3- **أهداف الدراسة:** تسعى هذه الورقة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- 1- التركيز على أزمة الخطاب الإسلامي المعاصر كأنموذج لتأزم لخطاب الإنساني المعاصر.
- 2- استثمار مختلف الدروس، والملاحظ المنهجية والمعرفية في تشخيص الخطاب المتأزم وتوجيهه.
- 3- الإشارة إلى أثر قيم التسامح والاعتدال في تأسيس الخطاب الإسلامي والإنساني وتوجيهه.

4- **منهجية الدراسة:** يغلب على الدراسة المنهج الوصفي؛ وذلك من خلال رصد بعض المواقف النبوية والتاريخية، وتحليلها واستثمارها في تأسيس الخطاب وتوجيهه بما يتناغم وينسجم مع رسالة الإسلام العالمية.

ولأجل هذا فإني قسمت الموضوع إلى الآتي:

أولاً: تعريف التسامح والاعتدال.

ثانياً: أزمة الخطاب المعاصر

ثالثاً: صور عن التسامح والاعتدال من التاريخ والسنة النبوية وآثارها في تأسيس الخطاب وتوجيهه

رابعاً: معالم المنهج المطلوب للخطاب الإنساني

أولاً: تعريف التسامح والاعتدال

1- **تعريف التسامح:** يتخذ التسامح دلالات مختلفة من لغة إلى أخرى ومن نظرة إلى أخرى، لذلك اختلف الباحثون في معنى الكلمة وفي نشأتها وتطورها.

أ- المعنى اللغوي للتسامح:

- المعنى الغربي للتسامح: تشتق الكلمة Tolerance في الانجليزية من الكلمتين اللاتينيتين Tolere بمعنى يعاني، و Tolerantia وتعني لغويا التساهل. وتستخدم Tolerance في اللغة الانجليزية بمعنى استعداد المرء لتحمل الآراء الدينية وأشكال العبادة المتناقضة أو المختلفة مع المعتقد السائد¹. ويقول قاموس المورد أن هذه الكلمة تعني²:

التسامح أو القدرة على الاحتمال، والمتسامح Tolerable الصفة تعني محتمل أو ممكن احتمالاً.

Tolerate بمعنى يتسامح ب أو يجيز أو يحمل، و Toleration بمعنى التسامح

الديني.

ويشير قاموس أكسفورد إلى أن³: Tolerance تعني الاستجابة للآراء أو السلوك الذي لا توافقه أو تحبه، و Tolerant تعني إمكانية قبول آراء وسلوك الأفراد غير المتوافقين معهم.

¹ في معنى التسامح... التسامح وآفاق السلم الأهلي، محمد محفوظ، عن: مجموعة باحثين، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2005م، ص183.

² قاموس المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، 2005م، ص975.

³ قاموس أكسفورد الحديث: انجليزي-انجليزي-عربي، ط8، 2002م، ص1615

-المعنى العربي للتسامح: جاء في لسان العرب أن: السماحة بمعنى: الجود؛ يقال: سمح سماحة وسموحة وسامحا بمعنى جاد⁴، والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا⁵.

ب-التسامح في الاصطلاح: يستعمل العلماء كلمة: "التسامح" لوصف عبارة ما، ومرادهم: الدلالة على أن الكلام الموصوف بالتسامح فيه، لا يُعلم الغرض منه، ويحتاج في فهمه إلى تقدير لفظ آخر⁶؛ لأن هذا الكلام مستعمل في غير ما وضع له، اعتمادا على ظهور المعنى في المقام⁷.

وهذا ما تدل عليه كثير من المواضع عند استعمال علماء الشريعة كلمة التسامح. أما بقية المواضع التي استعمل فيها العلماء هذه الكلمة فتشير إلى أن المعنى المراد بها: التساهل والعمفو.

وقد عرفت المعاجم الفقهية كلمات مشتقة من الجذر (سمح) مثل كلمة المسامحة بأنها: ترك ما لا يجب تنزهها⁸، وعرفها بعض العلماء بأنها: المساهلة والموافقة على المطلوب والصفح عن الذنب⁹.

ويؤخذ مما تقدم أن مجال مفهوم التسامح إنما يكون في الأمور التي ليست من الحقوق والواجبات.

وبناء على ما سبق أيضا ينبغي عدم الخلط بين المفاهيم، من ذلك:

- عدم وجود مبدأ للإنسان أو الجماعة ينطلق منه ليوصف تعامله مع الآخرين بالتسامح.
- ومنها: عدم الاهتمام بتحصيل الحقوق وأداء الواجبات، فهذا موقف سلبي، بينما يعد التسامح موقفا إيجابيا.
- ومنها: التنازل عن المبادئ عن قصد، لتحصيل منافع آنية بدعوى التسامح.

2-تعريف الاعتدال

أ-الاعتدال في اللغة: جاء في لسان العرب: (عدل) العَدْلُ ما قام في النفوس أنه مُستقيم وهو ضِدُّ الجَوْرِ¹⁰.

⁴ تسامح الإسلام وتعصب خصومه، شوقي أبو خليل، طرابلس، ط3، 1428هـ، ص41.

⁵ المرجع نفسه.

⁶ التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ت: محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، 1410هـ، 1/ 174.

⁷ التعريفات، الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ، 1/ 79.

⁸ التعريفات، المناوي، ص653.

⁹ قواعد الفقه، 1/ 481.

ب-العدل في الاصطلاح: هو: من اجتنب الكبائر ولم يصر على الصغائر وغلب صوابه واجتنب الأفعال الخسيصة كالأكل في الطريق والبول. وقيل العدل مصدر بمعنى العدالة وهو الاعتدال والاستقامة وهو الميل إلى الحق¹¹.

ثانياً: أزمة الخطاب المعاصر

يمكن أن نرصد أزمة الخطاب الإسلامي المعاصر كأنموذج لتأزم لخطاب الإنساني المعاصر، بالنظر إلى مفهومه وطبيعة مناطه.

1- من حيث مفهومه: أقصد بذلك تحرير محل النزاع في مفهوم الخطاب الديني؛ وهذا بالإجابة عن تساؤل مفاده:

هل كل من يتوسل بنصوص الوحي يكون خطابه دينياً؟

تلك هي الأزمة التي يعاني منها الخطاب الديني حينما يصبح مطية لأغراض سفلية وعلوية في آن معاً، بيد أن الخطاب الديني ليس نوعاً واحداً وليس مستوى واحداً، وإنما هو أنواع ومستويات ومختلفة تتراوح بين أقصى درجات التطرف وأسمى درجات الاعتدال، وأنموذج النماذج في ذلك هو خطاب القرآن الكريم الذي يتعامل معه كثيراً على أنه خطاب ديني بالمعنى الفضفاض الإيديولوجي والسياسوي، وتسقط عليه أوصاف الخطابات الدينية البشرية، بينما الأمر أبعد من ذلك إذ أن الخطاب القرآني ليس خطاباً دينياً بهذا المعنى وإنما هو خطاب ديني بالمعنى المعرفي المنهجي الكوني كما قال أبو القاسم حاج حمد¹².

عادة ما يذكر الخطاب الديني فتتجه الأنظار نحو إنتاج منظومة الحرام والأمر الناهية الرافضة الملغية، بينما الأمر يختلف لأنها مسألة الروابط التي ينتجها هذا الخطاب، حينما يطرح مسألة الحرام فإنه يطرح مسألة الحلال معه لأن الحلال هو الأصل، وتحدد فيه قوانين الصواب والخطأ عن طريق استخدام آليات حجاجية، فالخطاب الديني ينبغي النظر إليه عبر منظور شامل كمنظور تفسيري تتم رؤية الحلال عبره (مكونات المنظور والعلائق الموجودة).

¹⁰ لسان العرب، مادة (عدل)، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقيي المصري، دار صادر، بيروت، د.ت، 11/430.

¹¹ التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، 1/191.

¹² منهجية القرآن المعرفية: أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية الإنسانية، محمد أبو القاسم حاج حمد، دار الهادي بيروت، ط1، 1424هـ - 2003م.

2- من حيث طبيعة مناهج: لا يخفى أن الإسلام دين الوسط للأمة الوسط، وخطابه في عمومه وسط، إلا أنه يعاني من "طرفيه المذمومين"¹³؛ طرف أقصى اليسار يهدم الماضي باسم ما يتصوره مستقبلا حقا، وطرف أقصى اليمين يهدم المستقبل باسم ما يتصوره ماضيا حقا.

وأهم هذه الاختلالات تتجلى في كون بعض الخطابات المتطرفة غير واقعية؛ فهي لا تراعي مقتضيات الواقع في أبسط تشكلاتها، وهي لا تستند إلى ضوابط الشرع، رغم زعمها المتواصل بأنه الممثل احتكارا لهذا الخط. كما لا تُعمل قواعد العقل المشتركة بين أفراد الإنسانية بدهاء، والأدهى من ذلك أنها تُستغل من قبل العين الإعلامية والسياسية وحتى الأكاديمية الراصدة بل والمتربصة بالخطاب الإسلامي، لتستمد من زلاتها مادة متجددة لصورة نمطية جاهزة سلفا، تعمل لاستمرار انقطاع شعوب الغرب عن الإسلام، وتسعى لتبرير الاعتداء على المسلمين بهذه الزلات. وبذلك يكون على هذا الطرف المذموم، مسؤولية التشويش على الوظيفة السامية للخطاب الإسلامي، والمتمثلة في هذه المرحلة الحرجة، في تحرير المسلمين، بحيث يؤدي دورا تاريخيا مناسباً لمقتضيات العصر، ومحققا لقيم الإسلام الحقيقية¹⁴.

3- دروس في تشخيص الخطاب المتأزم وتوجيهه: نفيد من بعض العلوم الكلاسيكية والحديثة مظاهر ودروس في تشخيص بعض التجليات السلبية وتوجيهها، من ذلك علم البلاغة.

-درس من علم البلاغة:

لا يكاد يخفى أن من قواعد البلاغة قاعدة "المقام"، وهي "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"¹⁵. فهل من احترام "مقتضى الحال" الاستمرار مثلا في الدعاء، فوق المنابر، على الكفار، مطلق الكفار، دون تمييز بين معتد ومسال، بأدعية مزلزلة على منابر الجمعة، حتى في بلاد هؤلاء "الكفار"، من قبيل: "اللهم يتم أبناءهم ورملة نساءهم، واجعلهم وأموالهم غنيمة للمسلمين"، وهل من فقه "مقتضى الحال" أن يخطب خطيب في مسجد في أوروبا أو في غيرها، مخاطبا غير الحاضرين من أهل البلد، قائلا: "يا معشر أهل كذا، والله ليس لكم منا إلا ثلاث: الإسلام أو الجزية أو القتال! وهو اللاجئ المضطهد في بلاده الأصلية، بدون أوراق ثبوتية، ينتظر بما يجب به طلبه عن اللجوء السياسي، من قبل هؤلاء الذين يقدم لهم هذه الخيارات الثلاث.

¹³ ومعلوم أن الفضيلة تتوسط رذيلتين. انظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 1984م، 1/ 123-124.

¹⁴ أزمة الخطاب الإسلامي: معالم سريعة في الرصد والتجديد، أبو زيد المقرئ الإدريسي، مقال في الأنترنت: 11 أبريل، 2011، الساعة 02:59 مساءً.

¹⁵ الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم - بيروت، ط4، 1998م، ص13، 296.

والحقيقة أن البلاغة تحفل بفحص بعض ملامح النشاط الاجتماعي، ولدينا في كتابات الجاحظ ملاحظات عن ممارسات الخطاب في المجتمع وتأثيرها من قبيل الالتماس أو الإقناع أو التحريض.

إن أخطر ما في الخطاب، هو الشق غير المنطوق، أي "دلالة اللزوم"¹⁶؛ فحين تأمر: "بغلق الباب"، فالأهم من هذا الأمر، هو دلالته على أن: "الباب مفتوح".

- درس من الهجرة إلى الحبشة:

مما يزيد المرء أسى، أن يغفل من يباهون بالسلف، عن نجاحات السلف، فيما فشلوا هم فيه فشلاً ذريعاً، لأنهم مارسوا عكسه تماماً.

إن من نماذج الخطاب الإسلامي الموفق بل الباهر، خطاب جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي، بين يدي حاشيته ووفد قريش منه¹⁷:

قال جعفر بن أبي طالب - وكان هو المتكلم عن المسلمين: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام ... فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، ... -فعدد عليه أمور الإسلام- - فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله ، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرماناً ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدنا علينا قومنا، فعدبونا وفتنونا عن ديننا؛ ... فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك. فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقراه على، فقرأ عليه صدرًا من: (كهيعص)، فبكى، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكم، ولا يكادون -يخاطب عمرو بن العاص وصاحبه- فخرجا، فلما خرجا قال عمرو بن العاص لعبد الله بن أبي ربيعة: والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم.

فلما كان الغد قال للنجاشي: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم النجاشي يسألهم عن قولهم، فقال له جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فأخذ النجاشي عوداً ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقتة، فقال: وإن نخرتُم

¹⁶ تيسير التحرير، محمد أمين المعروف بأمير بادشاه، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، 1/ 81، والإيضاح في علوم البلاغة، ص301-302.

¹⁷ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري المشهور بابن الأثير، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت-44ت- لبنان، ط1، 1417هـ - 1997م، 1/ 677.

والله، ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم شُيُومٌ¹⁸ بأرضي، من سيُكم غُرم، ما أحب أن لي دُبُرًا¹⁹ من ذهب واني آذيت رجلاً منكم".

ولنلاحظ الذكاء الاستراتيجي الذي تسلح به جعفر رضي الله عنه في خطابه هذا؛ فقد قسم حديثه إلى أربعة أقسام فاعلة على وجازتها، وأحسن فيها كلها: أحسن عرض "الرسالة"، وأحسن عرض "المظلمة، وأحسن عرض "الاستجارة"، وأخيرا أحسن عرض "الاستشهاد". لكن الإحسان الأكبر قبل هذا كله - كان حسن اختيار المخاطب، وهو الاختيار النبوي "للرجل العادل"، وقد كان تلقائياً بعد هذا الانجاز، أن تأتي الاستجابة إيجاباً: فشل السفارة القرشبية، والتمكين للمستضعفين في أرض المهجر²⁰.

ولا يعني في شيء، حسن اختيار جعفر للمواضيع الموافقة لحس المخاطب، أن يحرف الحقيقة. فحين استطاع عمرو بن العاص أن يثير النقطة الحساسة فيما يتعلق بطبيعة المسيح، لم يجد جعفر بدا من ذكر الحقيقة.

وعلى النقيض ما حكاه جيفري لانغ، الذي هداه الله إلى الإسلام بعد معاناة فكرية ونفسية تأملية عميقة، سجلها في كتابه المتميز: "الصراع من أجل الإيمان"²¹. إذ ذكر أنه في مرحلة الصراع النفسي بين ماضيه الإلحادي وإقباله على الإسلام، وهو يقرأ كل ليلة في ترجمة القرآن إلى الإنجليزية، وتعذبه الأسئلة كما تحيره الأجوبة، وجد نفسه ذات يوم يذرع أروقة الجامعة بحثاً عن مسلم يساعده على تلمس طريقه، فأرشدوه إلى غرفة صغيرة في زاوية نائية، يصلي فيها بعض الطلبة المسلمين، فدخل عليهم يسألهم عن الإسلام، فإذا بهم يشيرون إلى أحدهم وهو طالب آسيوي، يقوم بدور الإمام تطوعاً لدى هذه المجموعة. لكن الصدمة التي كادت أن تصرف "لانغ" عن الإسلام لولا لطف الله وجديته في البحث، أن "الإمام" شرع فوراً يشرح له "كيف يعذب الله الكفار في قبورهم"، ولا يحتاج المرء إلى كبير ذكاء ولا قليل علم بالخطاب، كي يقارن بين عظمة الاختيار للقضايا التي طرحها جعفر، وبين بؤس هذا الاختيار.

¹⁸ الشيوم: معناه الآمنون بلسان الحبشة. لسان العرب، ابن منظور، مادة (شيم)، 12 / 329.

¹⁹ الدبر: الجبل بلسان الحبشة. المصدر نفسه، مادة (دبر)، 4 / 268.

²⁰ أزمة الخطاب الإسلامي: معالم سريعة في الرصد والتجديد، أبو زيد المقرئ الإدريسي، مقال في الأنترنت: 11 أبريل، 2011، الساعة 02:59 مساءً.

²¹ الصراع من أجل الإيمان، جيفري لانغ، دار الفكر، ط7، 2012م، ص111.

2- صور ومواقف في السنة النبوية والسيرة العطرة:

تعج كتب السنة والسيرة والتاريخ بأمثلة تفوق الحصر على منهجية النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل -الخطاب- على غرار منهجه في التربية والتعليم، كلها تصدر عن قيم التسامح والاعتدال التي جاء بها هذا الدين ، وهو بذلك أبعد ما يكون عن كل مسالك التطرف والإرهاب، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

أ-روي أن أعرابيا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه شيئا، فأعطاه ثم قال له: (أحسنت إليك؟)، قال الأعرابي: لا، ولا أجملت، فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله، فأرسل إليه وزاده شيئا، ثم قال له: (أحسنت إليك؟)، قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدها إلا نفورا. فناداهم صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها وأعلم، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديه، فأخذ لها من قمام الأرض فردها هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها، واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه، دخل النار" ²⁵.

إن الرسول الحليم لم تأخذه الدهشة لكنود الأعرابي أول الأمر، وعرف فيه طبيعة صنف من الناس مرد على الجفوة في التعبير والإسراع بالبشر، وأمثال هؤلاء لو عوجلوا بالعقوبة لقضت عليهم، ولما كانت ظلما. لكن العظماء المصلحين لا ينتهون بمصاير العامة إلى هذا الختام الأليم، إنهم يفيضون من أناتهم على ذوي النزق حتى يلجئوهم إلى الخير إجماع.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغضب أحيانا غير أنه ما يجاوز حدود التكرم والإغضاء.

والمحفوظ من سيرته أنه ما انتقم لنفسه قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها ²⁶.

ولما قال له أعرابي جلف وهو يقسم الغنائم: اعدل، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، لم يزد في جوابه أن بين له ما جهله، ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال: "ويحك فمن

²⁵ رواه البزار وفيه سنده متروك. انظر: مسند البزار، أبو بكر البزار، ت: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، د.ط، د.ت، 465/2، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، 1412هـ، 8/ 576.

²⁶ انظر مثلا أحاديث صحيح مسلم: باب مباحثته صلى الله عليه وسلم للأثام. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، د.ت، 4/ 1813.

يعدل إن لم أعدل؟ خبت وخسرت إن لم أعدل"²⁷ ونهى أصحابه أن يقتلوه حين هم بعضهم بذلك.

ب- حدث أن رجلاً نازعته الريح رداءه فلعنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تلعنها فإنها مأمورة مسخرة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه)²⁸.

وكثير من النصائح التي أسداها الرسول للعرب كانت تتجه إلى هذا الهدف. حتى اعتبرت مظاهر الطيش والتعدي انفلاتاً من الإسلام، وانطلاقاً من القيود التي ربط بها الجماعة فلا تميد وتضطرب: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)²⁹، وقال عبد الله بن مسعود: "ما من مسلمين إلا وبينهما ستر من الله عز وجل، فإذا قال أحدهما لصاحبه كلمة هجر خرق ستر الله"³⁰.

يمثل الحوار أرقى نماذج الخطاب، حينما يكون محاطاً بسياح من القيم الخلقية وملتزماً بأصول الحوار المتحضر المسؤول، فإن آثاره الطيبة ستظهر ولو بعد حين، يقول القرآن منوها بتلك القيمة: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن).

قال ابن العربي يتحدث عن الجدل: "وفي خطابك له -للخصم- لين، وأن تستعمل من الأدلة أظهرها وأنورها، وإذا لم يفهم المجادل أعاد عليه الحجة وكررها كما فعل الخليل مع الكافر حين قال له إبراهيم: (ربي الذي يحيي ويميت) فقال المعارض: أنا أحيي وأميت، فحسن الجدل، ونقل إلى أبين منه بالاستدلال، وقال: (إن الله يأتي بالشمس... من المغرب)، وهو انتقال من حق إلى حق أظهر منه ومن دليل إلى دليل أبين منه وأنور"³¹.

وقد كانت للنبي صلى الله عليه وسلم مجادلات مع المشركين ومع أهل الكتاب، وآيات القرآن في ذلك كثيرة، منها:

قوله لليهود: (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة: ٩٤-٩٥]، فما أجابوا جواباً، وقال: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) [آل عمران: ٦٤].

²⁷ أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه، رقم: (774). انظر: الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية، مصر، ط1، 1406 هـ - 1986 م، 1/ 179.

²⁸ أخرجه الهندي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، رقم: 8910. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، 1989م، 3/ 1403.

²⁹ رواه مسلم، 1/ 81.

³⁰ الأدب المفرد، 1/ 51.

³¹ أحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري المالكي، تخريج وتعليق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 1424 هـ - 2003م، 3/ 518.

وبفضل المنهج التسامحي الذي سلكه صلى الله عليه وسلم في الدعوة أسلم عدد من الذين أوتوا الكتاب³²، إعجابا بالإسلام وما فيه من تسامح ودعوة إلى المكارم والفضائل، وإعجابا بالأسلوب الهادئ الذي كان عليه خاتم النبيين.

ومن ذلك:

أ. نموذج مجادلته صلى الله عليه وسلم لحصين والد عمران رضي الله عنهما: عن عمران بن حصين قال: "جاءت قريش إلى الحصين وكانت تعظمه فقالوا له: كلم لنا هذا الرجل، فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم، فقال حصين: ما هذا الذي بلغنا عنك، إنك تشتم آلهتنا وتذكرهم، وقد كان أبوك حصينة -يعني متحصنا بدين آبائه-، وخيرا، فقال: (يا حصين كم تعبد من إله؟) قال: سبعا في الأرض وواحدا في السماء، قال: (فإذا أصابك الضر من تدعو؟) قال: الذي في السماء، قال: (فإذا هلك المال من تدعو؟) قال: الذي في السماء، قال: (فيسجيب لك وحده، وتشركهم معه، أرضيته في الشكر، أم تخاف أن يغلب عليك؟)، قال: ولا واحدة من هاتين، قال: إن لي قوما وعشيرة فماذا أقول؟ قال: (قل اللهم استهديك لأرشد أمري، وزدني علما ينفعني)، فقالها حصين، فلم يقم حتى أسلم فقام إليه عمران، فقبل رأسه ويديه ورجليه، فلما رأى ذلك النبي بكى، وقال: (بكيت من صنيع عمران دخل حصين وهو كافر، فلم يقم إليه عمران، ولم يلتفت ناحيته فلما أسلم قضى حقه، فدخلني من ذلك الرقة)، فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه: (قوموا فشيعوه إلى منزله)، فلما خرج من سدة الباب رأته ريش فقالت: صبا، وتفرقوا عنه³³.

هذا هو التطبيق الحكيم العاقل لأمر الله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥]؛ لا جهالة ولا عدوان، فانقادت له النفوس.

2- ومن الأمثلة أيضا خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم.

عن عدي بن حاتم قال: لما بلغني خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهت خروجه كراهية شديدة، فخرجت حتى وقعت ناحية الروم قال: فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهيتي لخروجه، قال: قلت: والله، لولا أتيت هذا الرجل، فإن كان كاذبا لم يضرنى، وإن كان صادقا علمت، قال: فقدمت فأتيته، فدخلت عليه فقال لي: (يا عدي بن حاتم أسلم تسلم) - ثلاثا- قال: قلت: إني على دين، قال: (أنا أعلم بدينك منك)، فقلت: أنت أعلم بديني مني؟

³² راجع: دلائل النبوة للبيهقي، و المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور: جواد علي.

³³ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ت: علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ط1، 1412هـ، 2/ 87.

قال: (نعم، ألسنت من الركوسية؟ -دين بين النصرانية والصابئية- وأنت تأكل مربع قومك؟)، قلت: بلى، قال: (هذا لا يحل لك في دينك)، قال: فلم يعد أن قالها فتواضعت لها، فقال: (أما إنني أعلم الذي يمنحك من الإسلام، تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة لهم، وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة؟)، قلت: لم أرها وقد سمعت بها، قال: (فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الطعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتح كنوز كسرى بن هرمز)، قال: قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: (نعم كسرى بن هرمز، وليبدلن المال حتى لا يقبله أحد). قال عدي بن حاتم: فهذه الطعينة تأتي من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى³⁴.

رابعاً: معالم المنهج المطلوب للخطاب الديني:

أقر الإسلام مجموعة من المعالم التي يشترك فيها الناس في خطاباتهم، أهمها:

1- الخطاب بالحجة والبرهان: وأول هذه المعالم:

العلم بأن أي خطاب تتبناه أي جهة لا بد أن يقام على الحجة؛ قطعاً لمادة الخلاف التي تنشأ من الدعايات والأراجيف، فقال تعالى: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة: 111].

2- الخطاب بالحكمة والحسنى: إذ لا يكون الخطاب الهادف إلا بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.

أ- أسلوب الحكمة: يراد بها مخاطبة العقول بالأدلة العلمية المقنعة، وبالبراهين العقلية، التي ترد على الشبهات بالحجج، وترد المتشابهات إلى المحكمات، والظنيات إلى القطعيات، والجزئيات إلى الكليات.

كما أن من الحكمة مخاطبة الناس بما يفهمون، وما تسيغه عقولهم، لا بما يعجزون عن فهمه، وقد قال علي رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله"³⁵.

ومن الحكمة أن تكلم الناس بلسانهم، ليفهموا عنك، ويتجاوبوا معك، كما قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) [إبراهيم: 4] ، وليس معنى الآية مجرد أن يكلم كلا بلسانه، بل معناه الأعمق أن يكلم الخواص بلسان الخواص، والعوام بلسان العوام،

³⁴ رواه في المسند الجامع برقم: 9750. المسند الجامع، أبو المعاطي محمد النوري، ت: محمود محمد خليل، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1413هـ - 1993م، 12/ 499.

³⁵ رواه البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً، رقم: 127، 1/ 59.

ويكلم الناس في الشرق بلسان أهل الشرق، وفي الغرب بلسان أهل الغرب، ويكلم الناس في القرن الحادي والعشرين بلسانهم لا بلسان قرون مضت.

ومن الحكمة أن نأخذ الناس بالرفق فيما يأمرهم به وينهاهم عنه، وأن نهيب أنفسهم لتلقي الأمر والنهي قبل توجيهه إليهم، وأن نأخذ بالمنهج النبوي الذي أمر به الأمة في الدعوة والتعليم، حين قال: (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)³⁶، ولا تكلف الناس ما لا يطيقون حتى لا يردوا، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)³⁷.

ومن الحكمة أن نحسن ترتيب ما نأمر به وما نهى عنه، بحيث يأتي كل شيء في موضعه، وفي أوانه.

وليس من الحكمة أن نكلم الناس في إحدى الفرعيات، وهم يخالفون في إثبات الأصول.

روى البخاري وغيره عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: "إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليهم، فإذا فعلوا الصلاة فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم..." الحديث³⁸. فلم يفرض عليهم فرض الصلاة إلا بعد أن يعرفوا الله.

ومن مجانبة الحكمة: التشديد في النوافل وقد أهمل الناس الفرائض. ومن قواعدنا العلمية الموروثة أن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة. ومن حكم السلف: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور.

ومن ذلك الاشتغال بالمختلف فيه، وقد ضيع الناس المتفق عليه. ومن الحكمة المطلوبة: أن نأخذ الناس بالتدرج.

هذا مع أن معركتنا اليوم ليست مع من يؤمن بالله، ولكنه يؤول (يد الله) بأنها القدرة أو يؤول (وسع كرسية السماوات والأرض) بأنه كناية عن سعة ملكه، وعظمة سلطانه. إن معركتنا الحقيقية هي مع الملاحدة الذين يجحدون وجود الله بالكلية.

³⁶ البخاري، رقم: 5774، 1/ 38، ومسلم، رقم: 1734، 3/ 1359.

³⁷ البخاري، رقم: 6858، 6/ 2658، ومسلم، رقم: 1337، 2/ 975.

³⁸ البخاري، رقم: 1389، 2/ 529.

ب-أسلوب الموعظة الحسنة:

إذا كانت الدعوة بالحكمة تخاطب العقول فتقنعها، فإن الدعوة بالموعظة الحسنة تخاطب القلوب والعواطف فتثيرها وتحركها. وعلينا أن نخاطب الجانبين معا: الجانب الذي يعي ويدرك ويحصل المعرفة، والجانب الذي ينفعل ويريد، ويحب ويكره، ويرغب ويرهب.

ولم يصف القرآن الحكمة بشيء لأن من أوتيتها فقد أوتي خيرا كثيرا، ولكنه وصف الموعظة المطلوبة بالحسنة (وَأَلْمُوعِظَةُ الْحَسَنَةُ). فليس المطلوب أي موعظة ولكن الموعظة الحسنة الجميلة.

فقد يكون حسنها في اختيار موضوعها المناسب للمخاطب، وقد يكون حسنها في اختيار أسلوبها المؤثر فيه، وقد يكون حسنها أنها جاءت في أوانها وهكذا.

ليس من الموعظة الحسنة تهيج العامة وإثارة مشاعرهم، وإلهاب عواطفهم في قضايا جزئية، قد يستفيد منها بعض الناس، ولكنها تضر الأمة في مجموعها ضررا بالغا.

وليس من الموعظة الحسنة اتخاذ الأدعية الاستفزازية في صلوات الجمع وفي قنوت النوازل وغيرها.

3-خطاب المخالفين ومحاورتهم بالتي هي أحسن: من معالم المنهج الذي رسمه القرآن للدعوة إلى الله: الجدل بالتي هي أحسن.

ومن الملاحظ على التعبير القرآني المعجز في الآية أنه اكتفى في الموعظة بأن تكون (حسنة)، ولكنه لم يكتف في الجدل إلا أن يكون بالتي هي (أحسن)؛ لأن الموعظة تكون مع الموافقين، أما الجدل فيكون مع المخالفين، لهذا وجب أن يكون بالتي هي أحسن.

ومن ذلك أن يختار أرق العبارات في جداله مع المخالفين، حتى يؤنسهم ويقربهم منه، ولا يوغر صدورهم.

وقد ضرب لنا القرآن أمثلة رائعة وبارزة في هذا المجال في حسن مجادلة المخالفين، من ذلك:

قوله تعالى في جدال المشركين: (وَأَنَا أَوْ يَاكُمُ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قُلْ لَأَ تَسْأَلُونَنَا عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [سبأ: ٢٤ - ٢٥]؛ ففي هذا الأسلوب الرفيق من إرخاء العنان، وتسكين الخصم وإرضاء غروره.. ما يهيئ نفسه للاقتناع أو الاقتراب منه إلى حد كبير. فهو يقول: (وَأَنَا أَوْ يَاكُمُ) ولم يقل لهم: أنتم في ضلال مبين. ثم قال: (قُلْ لَا تَسْأَلُونَا

عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)، وكان مقتضى المقابلة أن يقول: "ولا نسأل عما تجرمون"، ولكن لم يشأ أن يجيبهم بنسبة الإجماع إليهم، إيناسا وتأليفا.

ومن الجدل بالتي هي أحسن: التركيز على الجوامع المشتركة بين المتحاورين، لا على نقاط التمايز، فإن وجود أرض مشتركة بين الطرفين يساعد على جدية الحوار، وإمكان الانتفاع به فيما هو متفق عليه بين الأطراف المتجادلة.

ومن الجدل بالتي هي أحسن ما ذكره سيد قطب، وهو أن يكون حوارا رقيقا بلا تحامل على المخالف ولا إردال، حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق. فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة. وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها وكيانها. والجدل بالحسن هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة ويشعر المجادل أن ذاته مصونة وقيمتها كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والاهتداء إليها. ولكي يطامن الداعية من حماسته واندفاعاته يشير النص القرآني إلى أن الله هو الأعلم بمن ضل عن سبيله وهو الأعلم بالمهتدين. فلا ضرورة للجدل إنما هو البيان والأمر بعد ذلك لله³⁹.

4- غير المسلمين بدل "الكفار"

ومن الخطاب المعتدل والمتسامح، ألا نخاطب المخالفين باسم الكفار، ولا سيما مخالفونا من أهل الكتاب؛ وذلك لأمرين:

أولهما: إن كلمة (كفار) لها معان، بعضها غير مراد لنا يقينا، منها: الجحود بالله تعالى وبرسله وبالدار الآخرة، كما هو شأن الماديين الذين لا يؤمنون بأي شيء وراء الحس.

ونحن إذا تحدثنا عن أهل الكتاب لا نريد وصفهم بالكفر بهذا المعنى، إنما نقصد أنهم كفار برسالة محمد. وهذا حق، كما أنهم يعتقدون أننا كفار بدينهم الذي هم عليه الآن وهذا حق أيضا.

والثاني: أن القرآن علمنا ألا نخاطب الناس باسم الكفر؛ فخطاب الناس -غير المؤمنين- في القرآن، إما أن يكون بهذا النداء (يا أيها الناس) أو (يا بني آدم) أو (يا عبادي) أو (يا أهل الكتاب).

³⁹ في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط7، 17، 1412هـ، 4/2202.

ولم يجئ في القرآن خطاب بعنوان الكفر إلا في آيتين، كان خطابا للوثنيين الذين كانوا يسامون الرسول على أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة، فأرادت قطع هذه المحاولات بخطاب حاسم، فأمر الرسول أن يخاطبهم بهذه الصورة القوية، بما فيها من تكرار وتوكيد، ومع هذا ختمت السورة بهذه الآية التي تفتح بابا للسماحة مع الآخر، حين قالت: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ).

5- مواطنون بدل "أهل الذمة"

هناك كلمات لم تعد مقبولة لدى بعض من الأقليات غير المسلمة، وأمثالهم، مع أن مدلول هذا المصطلح إيجابي؛ لأنه يعني أن لهم ذمة الله ورسوله. وهذا مدلول له وقعه وتأثيره في نفس المسلم، فإنه لا يقبل أن تُخفَر ذمة الله ورسوله بحال، ومن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ولكن إذا كان مواطنونا من غير المسلمين يتأذون من هذا الاصطلاح، فلا يمنع من استخدام كلمة (المواطنة) فإن الفقهاء متفقون على أن أهل الذمة من أهل دار الإسلام، وإن لم يكونوا من أهل الملة. و(أهل الدار) تعني بالتعبير العصري: مواطنين. وحذف هذه الكلمة لا يتعارض مع أحكام شريعتنا، أو مقررات ديننا.

ويشهد لذلك ما صنعه الفاروق عمر بموافقة الصحابة مع عرب بني تغلب، وكانوا نصارى، وقد طلبوا إلى عمر أن يأخذ ما يأخذه منهم باسم الزكاة أو الصدقة، ولو كان مضاعفا، ولا يأخذه باسم الجزية، وقالوا: إننا قوم عرب، ونأنف من كلمة جزية.

تردد عمر، ثم نصحه بعض مشيريه أن يستجيب لهم، قائلا: إنهم قوم لهم بأس وقوة، ونخشى أن يلحقوا بالروم، ففكر عمر، ورأى أن ينفذ لهم ما أرادوا، وقال: سموها ما شئتم، وقال لمن حوله: هؤلاء القوم حمقى، رضوا المعنى وأبوا الاسم!

وكان هذا من الفاروق تقريرا لقاعدة مهمة هي أن العبرة ليست للأسماء والعناوين، ولكن العبرة للمسميات والمضامين.

هذا مع أن كلمة (جزية) ذكرت في القرآن، ولكن المقصود هو معناها لا لفظها. ومعناها: أن يدفعوا ضريبة يعلنون بها إذعانهم لسلطان الدولة المسلمة وقبولهم جريان أحكام الإسلام - غير الدينية - عليهم.

6- التعبير بالأخوة عن العلاقات الإنسانية

من التعبيرات المطلوبة اليوم: التعبير بالأخوة عن العلاقة بين البشر، والمراد بها (الأخوة الإنسانية) العامة، على اعتبار أن البشرية كلها أسرة واحدة، تشترك في العبودية لله،

والبنوة لأدم، وهذا ما قرره حديث نبوي شريف خاطب به رسول الإسلام الجموع الحاشدة في حجة الوداع، فكان مما قاله في هذا المقام: "أيها الناس، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لأدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى"⁴⁰.

وهذا الحديث يؤكد قول الله تعالى في مطلع سورة النساء، والمراد بها: الأخوة الوطنية أو القومية. فليست (الأخوة الدينية) هي الأخوة الوحيدة التي تصل بين البشر، إنها لا شك أعمق ألوان الأخوة وأوثقها رباطا.

ولكن لا نزاع أن هناك أنواعا أخرى من الأخوة، مثل الأخوة بين أبناء القبيلة الواحدة وإن اتسعت، أو أبناء الشعب الواحد وإن تكاثروا، وبين أبناء الجنس الواحد.

والدليل على ذلك: ما جاء في القرآن من حديث عن الأنبياء وصلتهم بأقوامهم، واعتبار كل نبي من هؤلاء (أخا) لقومه، وإن عصوه وكذبوه، ومثل هذه التعبيرات تقرب الآخرين، وتزيل الفجوة بيننا وبينهم.

خاتمة:

بعد هذه الجولة المتواضعة في رحاب السماحة والاعتدال نخلص إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

- 1- يمثل العدل الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، ومنه الاعتدال الذي يعني الاستقامة والميل إلى الحق.
- 2- يعاني الخطاب الإنساني أزمة من جهات متعددة، ويمكن رصد أزمة الخطاب الإسلامي المعاصر كأنموذج لتأزم لخطاب الإنساني، بالنظر إلى مفهومه وطبيعته مناطه.
- 3- نفيد من بعض العلوم الكلاسيكية والحديثة مظاهر ودروس في تشخيص بعض التجليات السلبية وتوجيهها.
- 4- يشع في التاريخ الإنساني وفي السيرة العطرة صور ومواقف عن التسامح والاعتدال، تمثل بأفرادها ومجموعها المنهج الأسلم في تأسيس الخطاب الإسلامي والإنساني وتوجيهه.
- 5- أقر الإسلام مجموعة من المعالم التي يشترك فيها المسلمون وغيرهم في خطاباتهم وتعاملاتهم.

⁴⁰ أخرجه الألباني برقم: 2700 . السلسلة الصحيحة، 6 / 203.

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

1. أحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري المالكي، تخريج وتعليق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 1424 هـ- 2003م.
2. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ.
3. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع -تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر، ط2، د.ت.
4. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم - بيروت، ط4، 1998م.
5. تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، 2014م.
6. تسامح الإسلام وتعصب خصومه، شوقي أبو خليل، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط3، 1428هـ.
7. التسامح وأفاق السلم الأهلي، محمد محفوظ، عن: مجموعة باحثين، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2005م.
8. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ.
9. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ت: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط1، 1410هـ.
10. تيسير التحرير، محمد أمين المعروف بأمرير بادشاه، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
11. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
12. الصراع من أجل الإيمان، جيفري لانغ، دار الفكر، ط7، 2012م.
13. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط17، 1412هـ.
14. قاموس أكسفورد الحديث: انجليزي-انجليزي-عربي، ط8، 2002م.
15. قاموس المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، 2005م.
16. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري المشهور بابن الأثير، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1417 هـ - 1997م.
17. كنز العمال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، 1989م.
18. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر - بيروت، ط1، د.ت.

19. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، 1412هـ.
20. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي المعروف بالبزار، ت: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، د.ط، د.ت.
21. المسند الجامع، أبو المعاطي محمد النوري، ت: محمود محمد خليل، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1413هـ - 1993م.
22. منهجية القرآن المعرفية: أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية الإنسانية، محمد أبو القاسم حاج حمد، دار الهادي بيروت، ط1، 1424هـ - 2003م.
23. موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984م.
- *ومقالات بالإنترنت:**
24. أزمة الخطاب الإسلامي: معالم سريعة في الرصد والتجديد، أبو زيد المقرئ الإدريسي، مقال في الأنترنت: 11 أبريل، 2011، الساعة 02:59 مساءً.
25. الموسوعة الحرة <http://ar.wikipedia.org/wiki/>